مجلة المعجمية - تونس

ع 18-19

2003

في المفهمة في المعجم

إبراهيم بن مراد

1 - تمهيـــد :

المفهمة مصطلح نقابل به المصطلح الانقليزي «Conceptuatization»، والفرنسي «Conceptualisation». وقد اشتق المصطلحان الانقليزي والفرنسي من فعل «To Conceptualize» بالانقليزية و«Conceptualiser» بالفرنسية، ويقابله في العربية فعل «مَفْهَمَ»، والفعل ذاته مشتق من «Concept» الذي فضلنا ترجمته بمفهوم عوض مصطلح آخر قد شاع هو «تصوّر»، معتبرين التصوّر أوفق لمصطلح آخر هو «Intension»، وإذن فإن المفهمة باعتبارها مصدرا من فعل «مَفْهَم» هي عملية أو إجراء تكوّن بواسطته المفاهيم، بل يمكن القول إن المفهمة هي تكوين المفاهيم.

على أن السؤال المهم الذي تثيره المفهمة للساني - وللباحث في الدلالة خاصة - هو : ما الذي يُمَفْهَمُ ؟ أو : ما المادّة اللغويّة التي تُمَفْهَمُ ؟ ولم نعثر على إجابات كثيرة أو متنوعة عن السؤال. لأن المسألة كلها فيما نعلم لم تَعْنِ الى حد الآن عناية حقيقية إلا اللسانيين العرفانيين الذين كتبوا في الدلالة العرفانية Sémantique cognitive . وقد خصت في السنوات الأخيرة بالدرس فكتب فيها البعض ضمن بحوث عامّة في الدلالة العرفانية، ومن أشهر هؤلاء اثنان ستكون لنا معهما وقفة، هما رونالد لانقكار Ronald Langacker في كتاب له مشهور هو «Foundations of Cognitive Grammar»، أي «أسس النحو العرفاني» (1987 و1991)، وفي بحوث له أخرى[1]، وليونار طالمي Leonard Talmy في كتاب له حديث عنوانه «Toward a Cognitive Semantics» أي «نحو دلالة عرفانية» (2000)، بل خصت المسألة بكتاب مستقل مشتمل على بحوث لجملة من العلماء عنوانه

(1) ينظر : Langacker (Ronald) : Noms et verbes, trad. fr. par Claude Vandeloise. in : *Communications*. 53 (1991). pp. 103-153 ؛ وقد صدر النص الاصلي للبحث باللغة الانقليزية في *Language*. n3 71 (1987) ؛ وقد اعتمدنا في هذا البحث الترجمة الفرنسية ؛ **Ibid** : The Contextual Basis of Cognitive Semantics [= CBCS]. in: Nuyts (Jan) and Eric Pederson (eds.) : Language and Conceptualization. Cambridge University Press. 1997. pp. 229-252.

«Language and Conceptualization» أي «اللغة والمفهمة» (1997) [2].

2 – في الخاصية التركيبية للمفهمة :

وأهم المنطلقات النظريّة التي تأسس عليها البحث في المفهمة في المصادر التي ذكرنا، وخاصة في كتابات طالمي ولانقكار، هي الثلاثة التالية :

(1) تأليفية الدلالة. فإن الدلالة في جوهرها دلالة تأليفية، جُمْلِيَّة. وهي تتأسس على ما سمّاه طالمي المركّبات أو المعقّدات التجريبية (Experiential complexes) [3] أو المركبات النحوية (Grammatical complexes) [4] أو المعقدات المفهومية (Conceptual complexes) [5]،أو المعقدات الفكرية (Ideational complexes) [6]. وسماه لانقكار العبارات المعقدة (Complex expressions) [7] أو العبارات المركبة (Composite expressions) [8]. وهذه الخاصية التأليفية قد جعلت طالمي يُعنى بما سماه «بنية المفهوم» [9]. وبنية المفهوم تحددها العناصر النحوية المكوّنة لما سمّاه القسم المغلق Closed-class المنتمي إلى ما سماه النظام الفرعي النحوي Grammatical subsystem الذي يقابل النظام الفرعي المعجمي Lexical subsystem، وهذا تنتمي إليه العناصر المعجمية المكونة للقسم المفتوح «Open-class» [10]. وقد أكد لانقكار الخاصية التأليفية للدلالة أيضا وربطها بالخاصيّة التعقيدية في المعاني وفي المفاهيم وفي المفهمات الناتجة بدورها عن تعقيد العبارات [11]. وقد عناه في هذا الاطار الاشتراك الدلالي (Polysemy) الذي يغلب على الوحدات المعجمية أي عناصر القسم المفتوح من النظام الفرعي المعجمي حسب تصنيف طالمي، وقد عني به لصلته

---

(2) ينظر التعليق السابق.

(3) ينظر : Talmy (Leonard) : Toward a Cognitive Semantics [=TCS], Vol. I : Concept Structuring Systems ; Vol. II Typology and Process in Concept Structuring. The MIT Press, 2000, I/21.

(4) نفسه، I/23-24.

(5) نفسه، I/40.

(6) نفسه، I/2-14.

(7) ينظر : Langacker (R.) : Foundations of Cognitive Grammar [=FCG], Vol. I : Theoretical Prerequisites ; Vol. II : Descriptive Application. Stanford University Press. Stanford, 1987-1991. I/461. Ibid : CBCS. p. 229-237, 238...

(8) Langacker (R.) : FCG. I/448, 449, 452, 455, 462.

(9) Talmy (L.) : TCS. I/22-24 , 39-40 , 162.

(10) نفسه، I/22-40.

(11) ينظر خاصة : Langacker (R.) : FCG. I/448-466 ; Ibid : CBCS. p. 229, 247 - 248.

بخاصية التعقيد في العبارات لأن المفردة الواحدة في حالة الاشتراك لا تختصّ بمعنى واحد بل ترتبط بها معان كثيرة تتضح الفروق بينها بالسياقات المقالية [12].

(2) أن المفهمة عملية معقدة. وتعقيدها عند لانقكار ناتج عن بعض العوامل أهمها :

(أ) أنها عملية تجرى على البنية التي تحملها أو تعبر عنها التعابير اللغوية المعقدة [13].

(ب) أن المفهمة نفسها معنى [14]، وبما أن معاني العبارات المعقدة معان معقدة فان المفهمات الحاصلة منها باعتبارها معاني أو المجراة عليها باعتبارها عمليات تكون معقدة أيضا.

(ج) أن المفهمة مرتبطة بطرفي الحديث : المتكلم والمستمع أو المخاطب؛ وهما المنجزان للمفهمة أو المشاركان فيها، فهما المُمَفهمان (Conceptualizers) الأساسيان. وقيام المفهمة على الطرفين دال على أنها عملية معقدة [15].

أما طالمي فلم يخص المفهمة بالتعريف اللساني أو العرفاني ولم يحدد وظيفتها لكن في ثنايا كتابه إشارات دالة على أن المفهمة هي المعنى [16]، وقد ذكر المفهمة في مواضع كثيرة من كتابه باعتبارها عملية ذهنية تدرك بها البنى المفهومية المنتمية إلى ما سماه أنظمة خُطّيّة (Schematic systems)، مثل الأحداث (Events) والمجالات (Domains). وتندرج في هذه الأنظمة مقولات الافكار المخصصة نحويا (Categories of grammatically specified notions) [17] أو المقولات الخُطّيّة (Schematic categories). وهذه المقولات هي التي تمفهم، ومن أمثلتها مفهمة «انطلاق الضوء من جسم ما مشعّ مثل الشمس والنار» أو مفهمة «كون النار مصدرا للضوء والدفء في الوقت ذاته» [18]. ويلاحظ أن المفهمة في المثالين عملية ذهنية أجريت على ما يسميه طالمي مركبا أو معقدا تجريبيا أو مفهوميا أو فكريا.

(3) الخاصيّة الذاتية للمفهمة. ولم يثر طالمي هذه المسألة إلا في نطاق الحديث عن البعدين الذاتي والموضوعي في إدراك الأشياء أو الموجودات. وهو يرى أن

---

(12) Ibid : CBCS, p. 247

(13) Langacker : Noms et verbes, pp. 115-116 ; Ibid : FCG, 1/448-466 ; ibid: CBCS, p. 240.

(14) Langacker, Noms et verbes, p. 106 ; ibid : CBCS, p. 242

(15) Langacker : FCG, 1/128-132 ; Ibid : CBCS, pp. 242-243.

(16) ينظر مثلا : Talmy : TCS, 1/104.

(17) نفسه، 1/49-41.

(18) نفسه، 1/11-1.

الموجودات في حد ذاتها بما لها من خصائص ذات وجود موضوعي خارج عن تجربة المتكلم، أما إذا اندرجت في تجربته وجعلها موضوع تقييمه أو ملاحظته الشخصية فإن وصفها أو الاخبار عنها يصبحان ذاتيّين [19]. وذلك يعني أن الحدث اللغوي عامة إذا عبر عما في الموجودات من خصائص لصيقة بها خارج اللغة كان موضوعيا، وإذا عبر عن مواقف المتكلم أو عن إدراكه وفهمه لواقعه - الواقعي والحقيقي - كان ذاتيا. ونحن نجد مثل هذا الرأي عند لانقكار لكن الاتجاه الغالب عليه هو اعتبار الحدث اللغوي إنتاجا ذاتيا، وقد عبر عن تلك الذاتية بـ «الأنوية» (Egocentricity)، وأنَويّة اللغة هي بعدها الذاتي المحض [20]. وأهم ما يدعم الذاتية في اللغة :

(أ) كون الانتاج اللغوي - من خلال المعاني التي يحملها والمفاهيم التي ترتبط بالعبارات المعقدة والمفهمات التي تجرى على تلك العبارات - لا يتم إلا من خلال العلاقات بين ثنائية المتكلم والمستمع أو المخاطَب. فهما الفاهمان، والمتأوّلان، والمُفَهمان، وإنجاز كل من الطرفين للكلام والفهم والتأويل والمفهمة إنجاز ذاتي في جوهره [21].

(ب) البعد الذهني للغة، فان بعض اللغة ذهني وبعضها نابع من تجربة المتكلم، والذهنيّ والتجريبيّ معا دالاّن على الذاتيّة. فإن للمتكلم الفرد ملكة ذاتية فطرية ذهنية خالصة مهيئة لإنجاز الحدث اللغوي، ولكنّ إنجاز الحدث اللغويّ يتأثر بمعرفته الخاصّة بما يسمّيه لانقكار لهيُجةَ (Idiolect) الاستعمال الخاصّة [22].

وأهم ما يستنتج من المنطلقات النظريّة التي ذكرنا :

(1) تأليفية الدلالة العرفانيّة. والتأليفية تعنى أن الدلالة إنما هي دلالة جملية (Sentential Semantics)، والجملية ينتفي معها عادة دور الأفراد أو العناصر المعجمية الدلاليّ، ولذلك فإن المفهمة لا تجرى على هذه العناصر بل على المركبات أو المعقدات التعبيرية أو المفهومية. وإذن فإن المفهمة لا تجرى على مفردات المعجم باعتبارها حاملة لمفاهيم مفردة بل على المركبات أو المعقدات الحاملة لبنًى مفهوميّة.

(2) أن المفهمة عملية ذاتية لأنها لا تكون إلاّ بين طرفين يمثلان قطبي التواصل. هما المتحدث والمستمع. وهذا يدعم الاستنتاج الأول، لأن التفاهم بين طرفي الحديث

(19) نفسه، 1/200-207.

(20) ينظر حول الأنوية : Langacker : CBCS. pp. 243-246.

(21) يراجع التعليق السابق، والتعليق (15).

(22) ينظر خاصة : Langacker : CBCS. pp. 229-232.

يكون حول استعمال العبارات المعقدة أو المركبات المفهومية عادة، وإذن فإن المفهمة - بما أنها تجرى على الذاتيّ - لا تجرى على العناصر المعجميّة لأنها ذات مفاهيم تخرج عن تجربة الجماعة اللغوية وترتبط بماهيات الموجودات التي تحيل إليها.

(3) أن المفهمة لا تكون معجميّة لأن ما ينبغي أن يُمَفْهَمَ في المعجم هي الوحدات المعجمية بينما المفهمة المتحدث عنها مفهمة تجرى على البنى التي تدل عليها المركبات أو المعقدات؛ وقد ربط طالمي هذه البنى بعناصر القسم المغلق من نظام اللغة الفرعي النحويّ وتعمد إهمال المحتويات المفهوميّة التي ترتبط بعناصر القسم المفتوح من نظام اللغة الفرعي المعجمي[23]. وقد اهتم لانقكار بعناصر المعجم لكنه اهتم منها بما سماه «كيانات» (Entities)، والكيان نفسه معقد رغم أنه جزء من جهة (Region) هي نفسها جزء من مجال (Domain) [24].

3 - في المفهمة في المعجم :

3 - 1 . مناقشة المنطلقات النظرية التركيبية :

ونرى بعد هذا أن المنطلقات النظريّة التي قدمنا قابلة للمراجعة النقدية، ونخص منها اثنين :

(1) أولهما هو القول بتأليفية الدلالة وبالخاصيّة الجملية فيها، وهو قول متأسس على اعتبار الوحدات المعجمية - مكوّنات المعجم - ذرّات تركيبيّة (Atomes Syntax-iques) في جوهرها، إذ ليس لها في اللغة من قيمة إلا من خلال وجودها في الخطاب وانتظامها في السياق، أي في سلاسل الكلام التي تكوّنها أجزاء الكلام أو قطَعُه فوق المعجميّة (portions de discours supralexicales)، من شبه الجملة إلى النصّ. ونجد في هذا التصوّر آثار تغليب المكوّن التركيبي في نظام اللغة على ما عداه من المكوّنات وخاصّة

(23) وقد سمي الدلالة التي اهتم بها «دلالة النحو» (Semantics of grammar) و«دلالة القسم المغلق» (Closed-class semantics)، وهذا القسم عنده هو القسم الفرعي النحوي من نظام اللغة - ينظر : Talmy : TCS, 1/22 .

(24) ينظر : Langacker : Noms et verbes, pp. 115-116; Ibid : FCG, 1/198-202 . وقد تحدث طالمي عن «الكيانات» أيضا (Talmy : TCS, 2/22-23) ولكنها عنده أكثر تعقيدا، وهي تشتمل على العناصر (Elements) والعلاقات (Relations) والبنى (Structures)، وقد خص بالتحليل من العناصر السطحية (Surface elements) الفعل لصلته بالبنية الحدثية (Event struc-ture) واعتماد الجملة عامة عليه (نفسه، 2/ 27-288)؛ فكانت الكيانات التي تحدث عنها معقدة بحق.

المكوّن المعجمي الذي يدرج ضمن مكونات النحو ويعد لذلك جزءا منه تابعا له [25]. ولا يخفى ما في هذا المذهب من خلط بين مجالين أصبح الدرس اللساني الحديث - في السنوات الأخيرة خاصة - يميّز بينهما تمييزا واضحا، هما المعجم، وقوامه الوحدات المعجمية بما ترتبط به من مكوّنات صوتيّة وصرفية ودلالية؛ ثم النحو وقوامُه التراكيب بما ترتبط به من إعراب وتصريف. وقد أخذ بهذا التفريق طالمي الذي قسّم نظام اللغة إلى نظامين فرعيّين هما النظام الفرعي المعجمي (Lexical subsystem) والنظام الفرعي النحوي (Grammatical subsystem)، وقد أسند إلى المكوّن الأول المحتوى (Content) وأسند إلى المكوّن الثاني البنى (Structures) [26]. لكنه أظهر ميله الى المكون الثاني - النحوي - فاتخذه منطلقا في البَنْيَنَة المفهومية.

فإذا قبلنا مبدأ الحديث عن نظام فرعي مستقل هو المعجم أمكن لنا الحديث عن استقلال مكوناته الأساسية وهي المفردات. وقد حلّلنا في بحث لنا سابق ما سميناه «خصيصة التفرد» في الوحدة المعجمية [27]، وهي خصيصة ناتجة عن توفر خصيصة واحدة على الأقل تختصّ بها فلا يشاركها فيها غيرُها، من جملة أربع خصائص تمييزيّة ضرورية واجبة الوجود فيها، لا تكون بدونها فردا لغويا ذا قابلية للانتماء إلى نظام اللغة، وهذه الخصائص هي (1) الانتماء المقولي (ق)؛ (2) التأليف الصوتي(ت)؛ (3) البنية الصرفية (ب)؛ (+) الدلالة (د). ونمثل لها باللوحة المقارنية التالية (حيث تدل علامة السّلب (-) على الاتفاق وعلامة الايجاب (+) على الاختلاف):

(1) [- ق ، - ب] ، [+ ت ، + د] : كَاتِبٌ ≠ كَاذِبٌ. فقد اتفقت كاتب وكاذب في الانتماء المقولي (ق) - لأنهما صفتان - وفي البنية الصرفية (ب) لانتمائهما الى النمط الصيغي «فَاعِلٌ»، وانفردت كل منهما بالتأليف الصوتي (ت) وبالدلالة (د).

(2) [- ت ، - ب] ، [+ ق ، + د] : بَرٌّ ≠ بَرٌ. فقد اتفقت المفردتان في (ت) و(ب)، واختلفتا في (ق) - لأن إحداهما اسم والأخرى صفة - وفي الدلالة (د) لأن الاسم منهما يعني ما انبسط من سطح الأرض والصفة تعني المتوسع في الاحسان.

---

(25) قد ناقشنا هذا المذهب من قبل وبينا استقلال المعجم عن النحو وسيفه له عرفانيا. ينظر : ابراهيم بن مراد : مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995. ص ص 51-57 و59-60.

(26) ينظر : Talmy : TCS. 1/21-40.

(27) ابراهيم بن مراد : مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 108 - 114.

(3) [-ق ، -د] ، [+ت ، +ب] : زوان ≠ شَيْلَم. فقد اتفقت المفردتان في (ق) و(د)، واختلفتا في (ت) و(ب). وقد اتفقت المفردتان في الدلالة لانهما مترادفتان إذ تطلقان على نبات بعينه.

(+) [-ق ، -ت ، -ب] ، [+د] : صكٌّ ≠ صكٌّ. فقد اتفقت المفردتان في ثلاث خصائص هي (ق) و(ت) و(ب)، لكنهما اختلفتا في الدلالة لأن الأولى معناها الدفع بشدة (من العربيّة صكّ) والثانية معناها وثيقة بمال أو نحوه، وهي أعجمية مقترضة.

(3) [-ق ، -ب ، -د] ، [+ت] : جشيش ≠ دَشيش. وقد اتفقت المفردتان في (ق) و(ب) و(د)، وانفردت كل منهما بتأليفها الصوتي لأن جيم الأولى قد أبدلت دالا في الثانية.

ويلاحظ من اللوحة :

(أ) أن الخصائص الأربع - سواء تحقق بعضها أو تحقق جلها - تُكْسِب الوحدة المعجمية ماهية وتنزلها حيزاً خاصا بها في المعجم وفي نظام اللغة عامّة، فإذا اكتسبت ماهية خاصة بها وتنزلت في حيز تستقل به باعتبارها فردا لسانيا تحقق لها ما نسميه خصيصة التفرد.

(ب) أن للخصيصة الدلالية دورا أساسيا في اكتساب المفردة لتفرّدها. فقد ظهرت في الأشكال (1) و(2) و(+)، ولئن دلّ هذا على أهمية الدلالة عامة في انتماء المفردة إلى نظام اللغة - إذ تكون بغير الدلالة مجرد مركب صوتي غير دال - فإنه دال خاصة على أن الدلالة خصيصة تمييزية قوية، وقوتها ناتجة عن قابلية كل مفردة للتفرد بمعنى خاص بها في المعجم لا يشاركها فيه غيرها من المفردات؛ ولذلك فإن من أهم المنطلقات النظرية التي يتأسس عليها التعريف في المعجم المدوّن - أو القاموس - هو أن «مغزى (Signification) مفردة ما ينتهي حيث يبدأ مغزى مفردة أخرى»، أو «يبدأ مغزى مفردة ما حيث ينتهي مغزى مفردة أخرى»[28]. وهذا يعني استحالة التداخل بين معنى مفردة ومعنى أخرى، إلا في حالات الترادف. لكن الترادف نفسه مشكوك في وجوده في ألفاظ اللغة العامة إذ لا يوجد حسب التصور اللساني الصارم «ترادف تام» أو «ترادف مطلق» (Synonymie ab-

(28) Weinreich (Uriel) : La définition lexicographique dans la sémantique descriptive. trad. fr. par Josette Rey - Debove. in . *Langages*. 19 (1970). (pp. 69-86). p. 73

solue) [29] ؛ على أننا نجده في الحقيقة - كما بينت اللوحة المقارنية - في شكلين هما (3) و(5) حيث ظهرت في كلتيهما الخصيصة [-د] - الدالة على التطابق في الدلالة - مقترنة بخصيصتين أساسيتين هما [-ق] الدالة على التطابق في الانتماء المقولي و[+ت] الدالة على الاختلاف في التأليف الصوتي، وإذن فان تحقق الترادف ناتج عن تحقق معادلة: [-ق] + [+ت] = [-د].

ومن البيّن أن تحقق هذه المعادلة ناتج عن توفر عاملين : الأول يمكن اعتباره لهجيًا لأن لمتكلمي اللغة الواحدة لهيجات (Idiolects) حسب اصطلاح لانقكار قد تختلف في ما تطلقه على المعَيَّن الواحد من المفردات فيكون المعَيَّنُ واحدا والمفردات المعنيَّة مختلفة. وهذا كثير في أسماء المواليد خاصّة، أي في تسميات النبات والحيوان والمعادن، وقد رأينا منه مثالا في الشكل (3) ؛ والثاني لساني خالص، لكنه ذو مظهرين : الأول مقولي يتقيّد به المترادفان بالانتماء إلى مقولة واحدة، وقد رأينا مثالين من ذلك في الشكلين (3) حيث ترادف الاسمان، و(5) حيث ترادفت الصفتان ؛ والثاني صوتي يختلف به المترادفان إما إختلافا مطلقا مثل الذي رأينا في الشكل (3) حيث رافق الاختلافَ في (ت) اختلاف في (ب) أيضا، وإمّا أن يكون الاختلاف جزئيا كأن يكون في المترادفين إبدال مثل الذي رأينا في الشكل (5)، أو أن يكون فيهما قلب مكاني مثل الذي نجد في [جذب] و[جبذ] وهما من الفصيح القديم.

وإذن فإن المفردتين قد تتفقان في الدلالة وذلك يكون في حالتين من خمس هي الحالات التي يتحقق فيها للمفردة تفرّدها. وهذا يعني أن قولنا «يبدأ مغزى مفردة ما حيث ينتهي مغزى مفردة أخرى» قول محقق، ولولا تحققه لما ألفت القواميس أو المعاجم المدونة. ولا نرى أن ظاهرة الاشتراك الدلالي تنفي هذا التحقق لأن المعنيين أو المعاني المختلفة التي تضاف إلى المعنى الحقيقي الذي يكون للمفردة في أصل استعمالها فتشترك معه في الانتماء إليها، تتوفر فيها عادة صفتان : الأولى هي أنها معان ثوان لأنها معان مجازية قد نشأت عن الاستعمال اللغوي في مراحل لاحقة لظهور المعنى الحقيقي، فإن كل مفردة من مفردات اللغة كانت في وقت ما من وجودها - وقد تبقى كذلك - أحادية الدلالة. وهذه الاحادية الدلالية ليست ناتجة عن العرف اللغوي المحض، بل هي نتاج

---

(29) تنظر مناقشة المسألة في : Milner (Jean-Claude) : Introduction à une science du lan-gage. Ed. du Seuil. Paris. 1989. pp. 341-347 ؛ وينظر أيضا : Lyons (John) : Lin-guistique générale. trad. fr. par F. Dubois - Charlier et D. Robinson. Larousse. Paris. 1970. pp. 341-346.

المكوّن الجذري بما للجذر من دلالة عامّة أوليّة، والمكوّن الصرفي بما لبُنية الجذع الداخلية من معنى صرفي، والمكوّن المعجمي بما تُحَمِّلُهُ الجماعة اللغوية المفردات من المعاني في أصل استعمالها متأثرة في الغالب ببعض العوامل التي تبرّر نسبة المعنى إلى المفردة مثل العامل الصوتي - كـ «الحكاية» - والعامل الوجودي عندما ينطبق معنى الدليل المعيَّن على الموجود المعيَّن، وهذا يكثر في الوحدات المركبة والمعقدة؛ وهذه الصفة هي التي تجعل المعاني الملحقة بالمعنى الاصلي تتوزّع في التعريف القاموسي على حلقات مترابطة متعالقة بالمعنى النواة أو المركزي؛ والصفة الثانية هي أنها متعاقبة أو متلاحقة لانها لم تظهر في الغالب في عصر واحد بل ظهرت في عصور من استعمال اللغة مختلفة لتصف مظاهر من تجربة الجماعة اللغوية مختلفة، وهذا ما يظهره توزعها التاريخيّ في معجم اللغة التاريخي مثلا. وهذا التوزع التاريخي الذي ينفصل به معنى ما عن معنى آخر يدعم مبدأ أن «يبدأ مغزى مفردة ما حيث ينتهي مغزى مفردة أخرى». فإنّ توزع المعاني التاريخي هو الذي يبرّر توزع المعاني على حلقات مستقلة في التعريف القاموسي. على أن المعاني التي تتشارك في الانتماء إلى المفردة الواحدة إنما هي كيانات دلالية مستقلة؛ وحتى علاقتها بمعاني المفردات التي ألحقت بها (مثل علاقة معنى العين بمعنى الجاسوس) إنما هي علاقة سميّة جزئية وليست علاقة اندماج. وإذن فان للمفردات حالتين من الوجود : الأولى تكونَ فيها أفرادا معجمية ذات خصائص ذاتية مطلقة تحقق لها تفردها، أقواها منزلة وظهورا الخصيصة الدلالية والخصيصة الصوتية؛ والثانية تكون فيها جزءا من التركيب حاملة لمعنى إما أن يكون حقيقيا فلا يحتاج إلى السياق لمعرفته (مثل قولنا أكل الطعام وشرب الماء) وإمّا أن يكون مجازيا فيتبين بالقرينة من السياق (مثل قولنا : أكل مال فلان أي استباحه، وشرب الكأس اي سكر). **وهذا الاستنتاج يجعل الدلالة الجُمْليّة التي تتأسس عليها الدلالة التأليفية جزءا من الدلالة المعجمية وليستَ الدلالة المعجمية كلها أو الخاصية الأساسية فيها**. وإذن فإن للوحدات المعجمية باعتبارها أفرادا مستقلة بدلالاتها قابليّة المفهمة أيضا.

(2) وأما القول بذاتية المفهمة فمتأسس على اعتبار الحدث اللغوي حدثا ذاتيّا لأنه لا يتم إلاّ بين طرفين يتفاهمان باستعمال العبارات أو المركبات المعقدة التي يُمَفْهِمانها. وهو قول يدل ظاهره على أنه مقبول : فأما خاصية التعقيد في ما يمفهم فتبدو حاصلة لأن المفهمة إنما تقع أثناء عملية التخاطب بين اثنين، وإذن فإن الحدث اللغوي الذي تحصل أثناءه المفهمة حدث ثنائي تُتبادَلُ خلاله الأفكار وتُتَمَثَّل؛ وأما ذاتية المفهمة فتبدو منطقية لأن

الحدث اللغوي التخاطبي ذاته متأثر بذاتي المتكلمين، فإذا كانت المفهمة هي المعنى الذي يصدر عن المتكلم والمعنى الذي يرد عليه من المخاطب فان المعنى في كلتا الحالتين تمثيل ذهني (Mental Representation). ولا شك أن لتجربة المتكلم أو ما يسميه لانقكار «عوامل سياقية» (Contextual Factors) [30] - أهمّها الاجتماعي والثقافي - مؤثرة في المتكلم والمخاطب معا - أو في مستعمل اللغة إجمالا - أثرا حاسما مع الذهن في اكتساب اللغة واستعمالها، وأن لمستعمل اللغة معرفة اتفاقية بها لأنها مشتركة بين الجماعة كلها رغم أن لكل فرد لهيجته(Idiolect)؛ ولا شك أيضا أن ذهن الفرد الذي يتم بواسطته التمثيل والمفهمة ذهن بشريّ لا يشتغل بمعزل عن ظواهر اشتغال الأذهان البشرية الأخرى، ولكن ذلك كلّه لا يمنع ذاتية الحدث اللغوي المؤدية الى ذاتيّة المفهمة.

ونرى أن هذه الخاصيّة الذاتيّة التي غلبت على الحدث اللغوي وعلى المعنى الذي يعد هو ذاته مفهمة قد بولغ في تغليبها مبالغة شديدة. فإن اللغة مؤسّسة قد أوجدتها الجماعة اللغويّة، وهي موجودة قبل أن يولد الفرد الذي يكتسبها اكتسابا حسب القواعد والقوانين التي تنظمها والتي تتقيد بها الجماعة اللغوية كلها حتى يستطيع أفرادها أن يَفهموا وأن يُفهمُوا وأن يُمَفْهموا. وإذن فهي لا تولد معه في موضع مّا من دماغه وراثية أو فطرية بل الذي يولد معه إنما هو استعداده الفطريّ لاكتسابها ؛ وهذا يعني أيضا أن ما يستعمله طرفا التخاطب في عبارات أو مركبات معقدة إنما يمكن لهما استعماله وفهمه ومفهمته لأنه من المشترك بين الجماعة اللغويّة.

وما نذهب إليه إذن [31] هو أن للغة بعدا موضوعيا محضا تحدده المفردات ودلالاتها المتواضع عليها بين أفراد الجماعة اللغوية، والقواعد التي تحدد نمطية التركيب والدلالات السياقيّة التي تستفاد من الجمل، وأن لها بعدا ذاتيا شخصيا يحدده اختيار المتكلّم لأنواع الجمل والسياقات الإيحائية التي يريد أن يعبر بها عنها وأنواع التنغيم (Intonation) التي يحمّلها إيّاها. على أن تحقق هذا البعد الذاتي رهين بتَحقُّق البعد الموضوعي لأن تأليف الجمل غير ممكن ما لم توجد المفردات بمعانيها المتفق عليها. ولا شك أن الفرد يستطيع أن يؤلف الجمل لكنه لا يستطيع أن يؤلف المعنى لأن المعنى حاصل قبل تأليف الجملة باعتباره

(30) Langacker (R.) : CBCS, pp. 234-236, 240-242.

(31) ينظر : ابراهيم بن مراد : مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 84-88. وينظر أيضا : Descombes (Vincent) : Les Institutions du sens, Ed. de Minuit, Paris, 1996, pp. 332-333.

مستفادا من المفردات أو من التعابير الاصطلاحية الموجودة قبل تأليف الجملة. ومن نمطية التأليف التي تحددها قوانين استعمال اللغة التركيبية. ولا شك أن لهذه الخاصيّة الموضوعية في استعمال اللغة أثرا حاسما في التخاطب والتفاهم والفهم والمفهمة، فإن المتخاطبين لا يفهم أحدهما الآخر ولا يتمثل أحدهما ما يقوله الآخر إلا لارتباط اللغة بالتواضع الجماعي الذي نجد أثره في ما سماه لانقكار «معرفة اتفاقية» (Conventional knowledge) باللغة [4].

ونستنتج مما تقدم :

(1) أن المفهمة لا تعد ذاتية إلا من حيث صلتها بذهن المُمَفهِم باعتباره الذي يجري العملية ذهنيا حسب ما أُوتيَ من قدرة إدراكية وتمثلية، لكن المعاني - وهي موضوع المفهمة - لا تخرج عما استقر منها في ذهن المُمَفهِم مما توافقت عليه الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها المتكلم، فإذا طابقنا بين المفهمة والمعنى أصبحت المفهمة ذاتها موضوعية.

(2) أن وجود طرفين يشتركان في التخاطب والتفاهم لتحصل المفهمة ليس شرطا ضروريا، لأن الفرد يمكن أن يفهم بمفرده ما دام موضوع المفهمة مكونات النظامين الفرعيين المعجمي والنحوي، ومادامت المعرفة بهذه المكونات اتفاقية أو تواضعيّة، وما دام الغالب على الحدث اللغوي - إنتاجا وفهما - الموضوعية. وانتفاء الضرورة إلى وجود الطرفين في المفهمة يعني أنها ليست مقصورة على مفهمة البنى المستفادة من المعقدات أو المركبات التعبيرية، بل يمكن أن تكون في الوحدات المعجمية أيضا.

3 - 2. المفهمة في المعجم :

3 - 2 - 1. المفهمة بين الفكر واللّغة :

والخلاصة التي نخرج بها مما سبق هي أن لمكونات المعجم - وهي الوحدات المعجمية - قابلية أن تُمَفْهَم أيضا. على أن هذا يقتضي منا تدقيق معنى المفهمة، وتحديد النطاق الذي تجرى فيه. أما من حيث المعنى فالمفهمة إجراء متأسس على التجريد (Abstraction)؛ فليست المفهمة إذن هي المعنى ذاته لأن المعنى خصيصة لصيقة بالوحدات المعجمية، وهو معنًى عامّ إذا ارتبط بألفاظ اللغة العامة ومفهوم إذا ارتبط بالمصطلحات، الوحدات المعجمية المخصصة. والمفهمة لا تكون إلا إجراء أو عملية، وهو المعنى الذي يفيده الفعل (Conceptualiser) الفرنسي و(To Conceptualize) الانقليزي ومقابلهما العربي

[4] Langacker , CBCS, p. 232 (1).

«مَفْهَمَ»، وكلها أفعال متعدية معبرة عن الإحداث، ولذلك فإن مصادرها «Conceptualisation» و«Conceptualization» و«مَفْهَمَة» حاملة لمعنى الإحداث أيضا ولا تحمل معنى الخصيصة (propriété) التي ترتبط بالمعنى المعجمي أو المفهوم.

وإذن فإن المفهمة عملية أو إجراء. وهذا الاجراء يحدث في نطاقين :

(1) الأول هو الفكر. وتكون المفهمة فيه تجريدا لمحتوى موجود ما لتكوين مفهوم له. وينتهي إلى هذا المفهوم - مثل مفهوم شجرة - بالنظر في جملة الخصائص التي تكوّنه، أي التصوّر (Intension). فإنّ التصوّر هو جملة الخصائص التي تكون المفهوم. ويُنظَرُ في الخصائص إلى ما يجمع بينها أي ما يتشابه منها أو يتفق وليس إلى ما يفرق بينها، فإن علاقات الاختلاف تظهر الفروق بين مفهوم وآخر. ومفهوم الشجرة مثلا يتحدد من خلال الخصائص - الضروريّة أساسا - التي ينبغي توفرها في الموجود الذي يعرف بالشجرة قبل أن يعرف به أي قبل إطلاق التسمية عليه ؛ على أن هذا المفهوم نوعان : الأول هو مفهوم هذه الشجرة التي أراها أمامي وأدركها إدراكا حسّيا في واقعي الواقعي[33]، فهو إذن مفهوم شجرة بعينها: أراها فأرى فيها موجودا ذا خصائص بعينها : هو نبات قائم على ساق خشبية صلبة، جزؤها الاسفل عار بسيط؛ تعلوها فروع، وأغصان حاملة لأوراق خضر غير غامقة الخضرة، وثمر أصفر اللّون مدوّر. وهذا الموجود إمّا أن يكون مندرجا ضمن تجربتي، ومعرفتي بالكون، فأستطيع تجريد محتواه ومفهمتَه فيتولد في فكري عنه مفهوم «المشمشة» (Abricotier) مثلا، فيكون المفهوم مفردا خاصا بموجود بعينه، وإما ألا يكون مندرجا في تجربتي ومعرفتي بالكون لأني لم أره من قبل فلا أستطيع مفهمته مفهمة دقيقة، ولذلك فإن المفهوم الذي يتولد عنه في فكري لا يكون مفردا خاصا بموجود بعينه، بل يكون من نوع ثان هو مفهوم عام لا يخرج عن ربط الموجود الذي أراه بغيره من الموجودات التي تشبهه في كونها نباتات قائمة على سوق خشبيّة صلبة ذات أجزاء سفلى عارية بسيطة وتعلوها فروع وأغصان حاملة لأوراق. وإذن

(33) نستعمل مصطلح «الواقع الواقعي» (Réalité réelle) للدلالة على الواقع الحسي المدرك إدراكا مباشرا بالحس، ويقابله «الواقع الحقيقي» (Réalité vraie) للدلالة على الواقع الباطني الذي يدرك بالذهن - ينظر حولهما : ابراهيم بن مراد : مقدمة لنظرية المعجم، ص 111 ؛ وهما قريبان مما سماه هوسرل «واقعا طبيعيا» (Réalité physique) و«واقعا نفسيا» (Réalité psy-chologique) - ينظر : Husserl (Edmund) : Idées directrices pour une phénoménologie et une philosophie phénoménologique pures. Livre Troisième : La phénoménologie et les fondements des sciences. trad. fr. par D. Tiffeneau. PUF. Paris. 1993. p. 169

فإن الموجودات التي تتوفر فيها هذه الخصائص تُمَفْهَمُ كلها مفهمة عامة إذ يتولد عن كل منها في الفكر مفهوم عام هو مفهوم الشجرة.

ويلاحظ إذن أن المفهمة تكون مفردة أو جزئية إذا كان المفهوم الحاصل ناتجا عن مجموعة الخصائص المكوّنة لتصور الموجود المُمَفْهَم، أي تصوّر موجود بعينه ؛ وأنها تكون عامة إذا كان المفهوم الحاصل ناتجا عن التعميم أو الماصَدَق (Extension)، والماصَدَقُ هو مجموع الأفراد أو الموضوعات أو الأنواع الداخلة تحت صنف أو كُلّ أو مقولة (Catégorie). وإذن فإن المفهمة إجراء يتولد عنه المفهوم في الفكر، فإذا تولد المفهوم في الفكر تَمَثّلَهُ الذهن، ثم يعيّن لسانيا بأن يطلق عليه عنصر معجمي ما. والاختلاف في هذه المسألة كبير: هل تصلح عناصر كل المقولات المعجمية التامة - الاسم والفعل والصفة والظرف - للدلالة على المفاهيم أم أن مقولة واحدة فقط هي الأقدر على ذلك، وهي مقولة الاسم ؟ (64). ونرى أن الأسماء أقدر على التعيين والإحالة، أي على تعيين الموجودات ذات الخصائص والإحالة إليها في تجربة الجماعة اللغوية (65)؛ وقد تقوم الصفات مقام الأسماء في التعيين والإحالة أيضا. **وما نود تأكيده بعد هذا هو أن المفهمة في هذا النطاق تحدث حارج اللغة، وأن الحدث اللغوي نال لعمل الفكر، وبهذا الاعتبار تكون اللغة ناشئة عن الفكر ويكون أصلها المفهمة باعتبارها إجرائيات تكوين المفاهيم.**

(2) والنطاق الثاني الذي تجْرَى فيه المفهمة هو اللغة، والحديث عنه يقتضي تأكيد ما نبهنا إليه في الفقرة السابقة حول سبق المفهمة باعتبارها إجراء فكريا، أي تمثيلا مفهوميّا للغة، إذ يولد أو يوجد الموجود أوّلا ثم يفهم بأن يوضع له مفهومه ثم يطلق عليه الدليل اللغوي الذي يعبر به عنه أو يُعيّنه. على أن إطلاق الدليل اللغوي - وهو الوحدة المعجميّة، الاسمية أو الوصفية خاصة، التي يعبر بها عن الموجود المُمَفهم بالفكر - مرحلة نهائية تالية لمرحلة أخرى تالية بدورها للتمثيل المفهومي، هي التمثيل الدلالي. وكما أن التمثيل المفهومي نتاج للمفهمة الفكرية فإن التمثيل الدلالي نتاج للمفهمة اللغويّة، على أن هذا الانفصال

(64) كل المقولات (الاسم والفعل والصفة والظرف والأداة) صالحة حسب لانقكار وطالبي للمفهمة. وقد تنزل الفعل والظرف والأداة في عمل طالبي منزلة مهمة. أما لانقكار فقد أعطى الاسم دورا مهما في تعيين الموجودات أو الاشياء (Things) ولكنه قد سوّاه ببقية المقولات في المفهمة، وهو يرى أن مقولة الفعل تُعيّن العمليات أو الاجراءات (processes) وأن مقولات الصفة والظرف والأداة تُعيّن العلاقات اللازمنية (Atemporal relations) - ينظر : Langacker : FCG. 1/ 183-274.

(65) ينظر أيضا : Issakaroff (Michael) et Madrid (Lelia) : De la pensée au langage. Ed. José Corti. Paris. 1995. pp. 16-17

الظاهر في التتالي بين التمثيلين المفهومي والدلالي لا يدل على عدم التكامل بينهما. ذلك أن المفهمة ذات بعدين متكاملين :

(1) بعد نفسي عرفاني يتمثل في المفهمة باعتبارها إجراء تكوّن به المفاهيم، ولهذا البعد صلة وثيقة بواقع المتكلم الحقيقي، والناتج عنه هو التمثيل المفهومي (Conceptual Representation) الذي يشمل المفاهيم المفردة أو الجزئية والمفاهيم العامة أو الكلية على السواء.

(2) بعد لغويّ لسانيّ يتمثل في المفهمة باعتبارها إجراء تُبْنَى به المعاني. ولهذا البعد صلة وثيقة بواقع المتكلم الواقعي. والناتج عنه هو التمثيل الدلالي (Semantic Representation). وهذا التمثيل الدلالي يحدث داخل اللغة وليس داخل الفكر. وهو لا يحدث داخل اللغة إلا إذا مُفْهِمَ الموجود داخل الفكر. فاذا مُفْهِمَ نشطت ملكة المتكلم اللغوية للتعيين، أي للتسمية. ولا يحصل التعيين إلا إذا تَمثل المتكلم العلاقة المرجعية بين الاسم والمسمّى. وتتحكم في ذلك التمثيل معرفة المتكلم بالموجودات من حيث هي كيانات تدرك حسب درجة مَوْضَعَتِها أو مَوْضَعَتِه لها في واقعه الواقعي، وتستوي في ذلك الموجودات المنتمية إلى الواقع الواقعي - وهي الموجودات الحسية مثل أعيان المواليد - والموجودات المنتمية إلى الواقع الحقيقي وهي المجردات التي يدركها بعقله، سواء كانت ذهنية خالصة - مثل الحرية والحب والصدق والكذب - أو كانت متخيلة -مثل «الملائكة» و«الشياطين»- لأنها موجودة خارج نطاق حواسه. وهذه الموجودات كلها لا تُتمثّل مفهوميا أو دلاليا إلا إذا موضعها المفهم في حيّز ما من واقعه الواقعي لتكتسب الوجود، فإذا اكتسبت وجودها مُثّلَتْ مفهوميا خارج اللغة ثُم مُثّلت دلاليا داخلها.

3 - 2 - 2. المفهمة و«التحوّل» في المعجم :

وأهم ما تتأسس عليه المفهمة في المعجم الانتقال أو التحول (Transformation) [30]. ويقوم التحول على التجريد (Abstraction)، ويقوم التجريد ذاته على ثلاث مراحل هي : (1) التجزئة (Segmentation)؛ (2) التفريق (Différenciation)؛ (3) التحديد (Identification). والتجزئة والتفريق متلازمان لأن الأولى هي فصل عناصر الجزء بعضها عن بعض ؛ وأما التفريق فهو إيجاد الفروق التي تجعل عنصرا ما يختلف عن غيره من

(30) ينظر حول مفهوم التحوّل ونماذج من تطبيقاته وخاصة تحوّل اسم العلم الى اسم عام : المرجع السابق (في التعليق السابق)، ص ص 25-30.

العناصر.

وأهم مظاهر التحول في المعجم ثلاثة، هي :

(1) التحول ضمن المقولة الواحدة من نوع الى نوع. ومن أهم أمثلتها تحول اسم العَلَم الى اسم عامّ أو تحوّل الاسم العامّ الى اسم علَم : ومن أمثلة تحول اسم العَلَم الى اسم عامّ إطلاق أسماء أشخاص على مآكل (مثل سندويتش من Sandwich)، أو نقود (مثل لويز من Louis)، أو إطلاق أسماء مدن على أنواع من الخمور (مثل بوردو من Bordeaux)؛ ومن أمثلة تحول الاسم العامّ إلى اسم علم إطلاق «الزيتونة» على جامع بعينه هو جامع الزيتونة بتونس، و«الرباط» - وهو مكان المرابطة عامّة - على مدينة بعينها هي المدينة المغربية المعروفة.

(2) التحوّل من مقولة إلى أخرى : وهذا المظهر من التحول كثير الحدوث في المعجم، ومن أمثلته :

أ - التحول من الصفة إلى الاسم : ومثاله إطلاق صفة «محمد» على اسم العلم من الذكور، و«سعيدة» على اسم العلم من الإناث.

ب - التحول من الاسم الى الصفة : ومثاله استعمال «عَدْلٌ» - وهو اسم - صفة في مثل «قاض عَدْلٌ»، و«حَرَجٌ» - وهو مصْدَرُ «حَرِجَ»، أي «ضاق» - صفة لما كان شديد الضيق، ولذلك أطلق على الغيضة الملتفّة من الشجر لا يقدر أحَد على النّفاذ فيها.

ج - التحول من الفعل الى الاسم : ومثاله استعمال «يزيد» و«يحمد» و«يشكر» و«تغلب» أسماء أعلام.

والظاهرة منتشرة في اللغتين الفرنسية والانقليزية. أما الفرنسية فإن أفعالا كثيرة فيها قد تطورت عبر التاريخ من مقولة الفعل إلى مقولة الاسم فاستعملت أسماء مثلما تستعمل أفعالا. ومن أمثلتها «aller» بمعنى «الذهاب» في مثل قولهم «L'aller et le retour» أي «الذهاب والإياب» ؛ و«boire» أي الشرب، و«manger» أي الأكل، في مثل قولهم «En perdre le boire et le manger» أي «شغله الأمر حتى أنساه الشرب والأكل» ؛ و«dire» في مثل قولهم «Selon le dire des témoins». أي «حسب قول الشهود». وأمّا اللغة الانقليزية فإن هذا الانتقال يحدث فيها باطراد لأن مقولتي الفعل والاسم فيها لا يفرّق بينهما صرفيّا تفريقا ظاهرا لأن صيغة الفعل هي صيغة الاسم ولا يفرق بينهما الا باستعمال

المحدّدات (Déterminants)، ومن أمثلة الظاهرة فيها تحوّل «to look» أي «نظر» إلى «the look» أي «المنظر»؛ وتحوّل «to move» أي «نقل، حرّك»،إلى «the move» وهو «الانتقال من مكان إلى آخر» ؛ وتحوّل «to burn» أي «أحْرَقَ» إلى «a burn» وهو «الحرْق».

د - التحوّل من الاسم إلى الفعل : وهذا النوع من التحوّل ليس «مباشرا» في العربية بل هو يحدث بالاشتقاق بتوليد وحدات معجمية فعلية من وحدات اسمية، ومن أمثلته «أنفَهُ»، أي «ضَرَبَ أنْفَه»، من «أنْفٌ»؛ و«طَحَلَهُ» أي «أصَابَ طحَالَهُ» من «طحَالٌ»؛ و«كَبَدَهُ» أي «أصَاب كَبِده» من «كبدٌ». وهذا التحوّل «غير المباشر» نفسه يكثر في الفرنسية، ومن أمثلته توليد «façonner» أي «شكّل» و«صَاغَ» من «façon»، وهو «المنوال» أو الطريقة» ؛ و«mimer»، أي «مَثّلَ إيماءً دون صوت» من «mime» وهي «الإيمائية» و«serpenter» أي تلوّى، و«تعرّج» من «serpent» وهو «الحيّة» من الزّواحف. وقد عددنا هذا التحوّل «غير مباشر» لأنه يتم بعد إدخال تغيير على «الدّال» في المفردة المولدة. وأما اللغة الانقليزية فان التحوّل «المباشر» فيها من الاسم إلى الفعل كثير؛ وهو يرجع الى السبب نفسه المحدث للتحول من الفعل الى الاسم، ومن أمثلته فيها فعل «to tunnel» ومعناه «حَفَرَ نفقًا» من «tunnel» وهو «النفق»، و«to plaster» أي «جصّصَ» من «plaster» وهو «الجصّ»، و«to ape» أي «قلّد كالقرد»، من «ape» وهو «ضرب من القردة» (37).

هـ - التحول من الاسم الى الاداة : ومثاله المشهور في العربيّة «لَيْسَ»، فإن أصلها من «الليس» وهو «اللاوجود».

(3) التحول من الجملة إلى المفردة : وهذا من قواعد التوليد الصرفيّة، والحاصل منه هو ما نسميه «معجمة» (Lexicalisation) ويسميه القدماء والمحدثون «نَحْتًا»، والفرق بينهما كبير لان النحت يكون بصوغ وحدة معجمية بسيطة من وحدتين بسيطتين،إما بحذف بعض العناصر الصوتية (مثل «عبشميّ» من «عبد شمس» و«عبدري» من «عبد الدار»)، وإمّا بعدم الحذف إذا كان أحد العنصرين أداة (ومثاله «لامبالاة» و«لا أدرية»).

(37) ينظر حول «التحوّل المعجمي» في اللغة الانقليزية Jean Tournier : Précis de lexicolo-gie anglaise; 3ème éd., Nathan, Paris, 1993, pp. 94-107، وقد سمّى الظاهرة «Conversion» وعرفها (ص 94) بانها «تحويل مفردة من مقولة معجمية الى أخرى دون إدخال تغيير على الدّال (Signifiant)»

وأما المعجمة فتكون بصوغ وحدة بسيطة من جملة، ومن أمثلتها «بسمل» من «باسم الله» و«حمدل» من «الحمد لله» و«وَشْحَلَ» في العربيّة التونسية، أي سأله عن حاله، من عبارة «وَاشْ حَالَك» (38).

ويلاحظ أن للمفهمة دورا مهما في التوليد المعجمي بالاشتقاق إذ الاشتقاق هو توليد مفردة من مفردة أخرى توليدا شكليا في جوهره لكنه لا يتم الا بمفهمة دلالية ؛ ثم إن للمفهمة دورا مهما أيضا في التوليد الدلالي بالمجاز وبالترجمة الحرفية، فإن تعميم الخاصّ أو تخصيص العام في المجاز مظهران من التحول الدلالي المتأسس على التجريد، وكذلك نقل معنى ما أو مفهوم ما من لغة مصْدَر إلى لغة مَوْرِد نقْلاً حرفيا (وهذا كثير الحدوث في المصطلحات العلمية والفنية) إنما يحصل بالانتقال من المعنى في اللغة المصدر الى المعنى في اللغة المورد بعد تمثل المعنيين دلاليًا والمطابقة بينهما.

4 - الخاتمـــة :

لقد كانت الغاية الأساسية من البحث الذي قدّمنا عن «المفهمة في المعجم» أن نثبت قابلية الوحدات المكوّنة للمعجم - وهو نظام اللغة الفرعي الأوّل - للمفهمة، مثلها في ذلك مثل ما سمّاه ليونار طالمي «المعقدات المفهوميّة» و«المركبّات النحويّة» وسمّاه رونالد لانقكار «العبارات المعقّدة»، وقد قدّمت كلّها باعتبارها من مكوّنات النحو، نظام اللغة الفرعيّ الثاني.

فلقد غلّب في تحليل اللسانيّين العرفانيّين للدلالة العرفانيّة الانطلاقُ من «الجملة» باعتبارها أقدر على حمل تلك «المركبات» و«المعقدات» و«العبارات»، إضافة إلى ما بين الجملة (Sentence) والعبارة (Expression) من العلاقة (39). بل إن من العرفانيين من يذهب مذهبا فيه شطط كبير في تغليب «الجملة» ونفي استقلال وحدات المعجم عنها (40).

(38) ينظر حول المعجمة والفرق بينها وبين النحت : ابراهيم بن مراد : مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 153-156.

(39) ينظر : R. Langacker : FCG, p. 489

(40) ينظر مثلا : George Lakoff : Women, Fire and Dangerous Things. What Categories Reveal about the Mind. The University of Chicago Press. Chicago and London. 1987. pp. 509-510. وجورج ليكوف من علاقة المعجم بالتركيب النحوي موقفٌ صارم، وخاصة من المعاني المعجمية. فهو ينفي نفيا باتا ما تقرّه «نظريات نحوية حديثة كثيرة حول افتراض الاستقلال المعجمي (The Lexical Independence Hypothesis)" القائم على اعتبار "معاني المفردات مستقلة عن أي تركيب نحوي ترد فيه"، وقد استدل على خطإ هذا الافتراض بتحليل مثالين من «أسماء» الإشارة - وهي في نظرنا من الأدوات (Particules) - هما "There" (هناك) و"Here" (هنا) نفسه، ص ص 509-517. وليست الأدوات مما يصلح للاحتجاج به على خطإ الافتراض المذكور.

وقد ناقشنا في البحث المنطلقات النّظريّة التي اعتمدت لتغليب الجملة وما يتصل بها من مركّبات ومعقّدات في المفهمة وأهمها (1) تأليفية الدلالة ؛ (2) ذاتيّة المفهمة. وقد بينا من خلال تحليلنا لما نسميه «خصيصة التفرّد» في الوحدة المعجميّة - وخاصة لخصيصة التفرد الدلالي - :

(1) أنّ «الدلالة الجُمليّة» التي تتأسس عليها الدلالة التأليفية ليست إلاّ جزءا من الدلالة المعجميّة وليست الدلالة المعجميّة كلّها أو الخاصيّة الأساسية فيها .

(2) أن للغة بعدا موضوعيا محضا تحدّدُهُ وحدات المعجم ومعانيها المتواضع عليها بين أفراد الجماعة اللغويّة، وأن لهذا البعد الموضوعي أثرا حاسما :

(أ) في تأليف الجمل، لأن ذلك التأليف غير ممكن ما لم توجد وحدات المعجم بمعانيها المتفق عليها؛

(ب) في التخاطب والتفاهم والفهم، ومن ثمّ في المفهمة ذاتها؛

(ج) في مفهمة الفرد - دون حاجة إلى طرف ثان يشاركه - لمكوّنات النظاميّن الفرعيّين، النحوي والمعجمي، أي المركبات أو المعقّدات أو العبارات، ووحدات المعجم.

على أن المفهمة في اللّغة مرحلة تالية للمفهمة في الفكر، والمفهمة في الفكر إجراء تكوّن به المفاهيم وينتج عنه التمثيل المفهومي ؛ وهي في اللّغة إجراء تبْنى به المعاني وينتج عنه التمثيل الدلاليّ الذي يسبق التعيين أو التسمية في المعجم. لكن للمفهمة في المعجم - إضافة إلى بعدها الدلالي العرفاني - بعدا معجميّا لسانيّا يتمثل في «الانتقال» أو «التحوّل» داخل نظام المعجم ذاته، وهو مظهر لساني يصل المفهمة بـ «المقْولة» (Catégorisation)، لان التحوّل «مَقُولي» أساسا يرتبط ارتباطا وثيقا بالتوليد المعجميّ، وهذا باب جديد في البحث المعجمي يستحقّ أن يولى العناية.

إبراهيم بن مراد
كلية الآداب بمنوبة